الصحافة المقدسية في ظل تحولات ما بعد 1987

تحسين يقين

كاتب فلسطيني

مفتتح:

خلال هذه القراءة شبه البحثية، استعدت شخصيًّا ذاكرتي كفتى في الثمانينيات، حين كان للقدس الدور الوطني المركزي، والذي تجلى سياسيًّا وثقافيًّا في صحف القدس ومجلاتها، وهي كثر في ذلك الوقت. وخلال البحث عادت للذاكرة تلك الأيام، وما التقطنا من تلك الدوريات، والتي أظهرت في تلك الفترة المبكرة تنوع الفكر السياسي في فلسطين المحتلة، وصدق توجهاتها، وصدق الانسجام الوطني في ظل الاختلاف في الفكر.

من الطبيعي أن تكون القدس حاضنة للمؤسسات الصحفية، جنبًا إلى جنب مع يافا، حتى عام 1948، حيث ارتبط ذلك بالتنوير الثقافي.

تعدّ الصحافة المقدسية حتى أواسط التسعينيات، هي الصحافة الفلسطينية، ولعل الصحف الثلاث اليومية القدس والشعب والفجر، احتلت جميعًا ركن الصحف في المحلات الفلسطينية.

ومردّ ذلك موضوعيًّا، أن القدس كانت مركزًا للعمل الوطني، ومركزًا للمؤسسات الدولية أيضًا، فكانت الصحافة انعكاسًا لذلك.

ولما كانت فلسطين محرومة من الإذاعة والتلفزيون بعد عام 1967، فقد كانت الصحف هي وسيلة المواطنين للتعرف على أخبار تفاصيل الوطن، كون الإذاعات العربية كانت تهتم بالأخبار الأساسية المجملة. وما زلنا نتذكر تقريبًا الشرائح الاجتماعية واختياراتها، حيث اختطت كل صحيفة سياسة تحرير خاصة بها. وبالرغم من التمايزات والتباينات في الموقف السياسي، تبعًا للمشارب والولاءات، إلا أننا نزعم الآن أنها جميعًا كانت صحفاً مقدسية فلسطينية ووطنية.

ومن المعروف أن القدس ورثت يافا صحفيًّا، لذلك فإنه من البدايات اتكأت صحافة الأرض المحتلة على إرث صحفي عريق. وكل ذلك كان مقره القدس.

عشرون ثم عشرون

العشرون الأولى، كانت ما بين نكبة فلسطين والصحافة عام 1948، وعام نكسة عام 1967، أما العشرون الثانية، فكانت ما بين عام النكسة وعام انطلاقة الانتفاضة الثانية عام 1987.

توصيف هوية الصحافة المقدسية لم يكن هينًا فعلًا؛ فالصحف مثل صحيفة القدس (تأسست عام 1968) كانت قد تأسست في ظل المملكة الأردنية الهاشمية، في ظل وحدة الضفتين. كذلك حال صحيفة النهار التي صدرت عام 1986 التي توقفت عام 1999. وكانتا صحيفتين قلقتين سياسيًّا، ما بين مراعاة السياسة الأردنية، وسياسة منظمة التحرير حتى وقت قريب من تأسيس السلطة الوطنية.

ولم تمضِ أربع سنوات، حتى تلتها في عام 1972 كل من صحيفتي: «الفجر»، و«الشعب» وتوقفتا عن الصدور عام 1993.. وهما صحيفتان انتهجتا نهج منظمة التحرير، وبشكل خاص حركة فتح.

أما مجلة الطليعة وهي مجلة (التنظيم الشـيوعي)، والتي صدرت عام 1978، فأضافت خطًّا وطنيًّا: سياسيًّا وأيديولوجيًّا.

وهكذا، نشـأ بعد عـام 1967، وضع جيد أعادنا إلى حقبـة الاحتلال البريطاني، أي صحافة فلسطينية وطنية تحت الحكم العسكري الأجنبي.

الفجـر باللغـة الإنكليزية، تأسسـت عـام 1980، ويبدو أنها تحولـت إلى ما عرف بجيروزاليم بوست التي تأسست عام 1994، وظلت إلى أواخر التسعينيات.

إذا انطلقنا من عام 1987، بحيث نجعل منه أساس المنطلق، فمعنى ذلك، نحن إزاء:

- ما كان واسـتمر. وهي جريدة القدس التي اسـتمرت ورقيًّا وإلكترونيًّا، في حين بقيت فقط مجلة البيادر السـياسي إلكترونيًّا، وهي من أولى المجلات التي تأسست في القدس المحتلة بعد عام 1967، حيث تأسست عام 1981.
- ومـا كان ولم يعد قائمًا: صحف الشـعب والفجر والنهـار، وهي صحف يومية، والطليعة والعودة أسبوعية، ومجلات ونشرات أخرى، منها:

الميثاق: والتي صدرت بتاريخ 13/ 2/ 1980 لمحررها محمود الخطيب؛ وكانت تتبع للجبهة الشعبية. وبسـبب مواقفها المعلنة ضد سلطات الاحتلال الإسرائيلي؛ منعت من التوزيع أكثر من 15 مرة سنويًّا.

الدرب: صـدرت صحيفـة الدرب عـام 1985م، والتـي كانت تتبـع الجبهة الديمقراطية، وكان رئيس تحريرها سـمعان خوري، وقد أغلقتها سـلطات الاحتلال في شهر آب 1986.

صحيفـة الجسر: وهي أول صحيفة تصدر باللغة العبرية وكانت أسـبوعية وكان يصدرها زياد أبو زياد.

مجلة «الفجر الأدبي»: صدرت عام 1978 على شـكل ملحق شـهري لجريدة «الفجر

اليومية، استمر بصدوره المنتظم حتى شباط عام 1982؛ حيث تحول إلى مجلة أدبية تقف مع المجلات الوطنية في مسيرة أدبية ثقافية تقدمية تفهم كل ظروف ومتطلبات المرحلة. وكان يشرف على (الفجر الأدبي) الباحث والناقد علي الخليلي.

الكاتب: صدرت في أوائل الثمانينيات لصاحبها ومؤسسها الشاعر والصحفي أسعد الأسعد.

العهد: صدرت في بداية العام 1984 لصاحبها غسان علي الخطيب، كمنبر ثقافي تقدمي يصدر كل نصف شهر.

الشراع: صدرت في أيار عام 1987 لصاحبها ومؤسسها الكاتب الصحفي مروان العسلي.

جريدة المنار: لصاحبها إسماعيل عجوة، ومجلة الأطفال **كريم**، تأسستا عام 1991.

ومجلة رؤية أخرى وIsrael from within اللتين كان يصدرهما مركز المعلومات البديلة في القدس الغربية وحررهما فلسطينيون من القدس مثل وليد سالم وعادل سمارة.

مجلة إسرائيل فلسطين، بالإنكليزية: Palestine – Israel; journal حررها زياد أبو زياد.

– ما استجد: للأسف لم تصدر صحف جديدة ولا مجلات، باستثناء مجلة فوستا، التي كان لها أسلوب خاص في جذب القراء بعيدًا عن الصحافة السياسية.

لم يكد عام 1987 يكتمل، حتى انطلقت الانتفاضة الأولى، كواحدة من أهم الأفعال النضالية، فكانت الصحافة في القدس ليست فقط معبّرة عن هذا الحراك الجماهيري فقط، بل ساهمت في قيادته. وهكذا دخلت مرحلة أخرى من مراحل الصدام، بدءًا بالرقيب العسكري، وانتهاء بالاعتقال.

لكن ذلك لم يكن سهلًا أبدًا، خصوصًا على أصحاب الصحف والمجلات وعلى الصحفيين أنفسهم في ظل الاختلافات السياسية وتعدد الولاءات، بل حتى والتنافس

الشخصي. أي اجتمعت العوامل الموضوعية والذاتية، وصارت أكثر صعوبة ليس في ظل وجود الاحتلال فقط، بل في ظل المشهد الدامي أيضًا، والذي بالرغم من آلامه، فقد كان فعلًا جادًّا على طريق التحرر.

فالصحافة المقدسية التي لم تقد الصحافة الفلسطينية فقط، بل كانت رافعة عظيمة لمنظمة التحرير، خاصة لحركة فتح.

ما كان واستمر، وما كان ثم انقطع، لكن لم تتأسس لا صحف جديدة ولا مجلات، بل أقفلت، وتحول بعضها مثل البيادر السياسي أون لاين.

صحافة القدس والتحولات:

مرت فلسطين بعد عام 1967 بعدد من المنعطفات التي شكلت تحديات ومن ثم إلى تحولات:

- عرض الحكم الذاتي وروابط القرى، وكان ذلك عام 1979، إثر زيارة الرئيس أنور السادات إلى القدس 1977.
- حرب إسرائيل على لبنان، أو ما عرف باجتياح إسرائيل لجنوب لبنان، وكان ذلك صيف عام 1982.
- انشقاق حركة فتح عام 1983.
- الانتفاضة الأولى وشتاء عام 1987.

وبالرغم من أهمية تناول أثر الصحافة المقدسية على الرأي العام في الضفة الغربية وقطاع غزة، في التعامل مع واحد من أهم أحداث قضية فلسطين، ونعني به الانتفاضة الشعبية الأولى، إلا أنه سيصعب الحديث دون التعريج على تلك المراحل.

بداية، لم تكد تحدث هزيمة عام 1967، حتى بدأت البنى التقليدية العربية تتهشم، في الإعلام والفنون والأدب، فتم التخلص إلى حد كبير من النفوذ القديم، لصالح الوطنية

الفلسطينية الناشئة، والتي تمثلت بمنظمة التحرير وبشكل خاص بحركة فتح، التي بدأ يشتد عودها أواخر السبعينيات، فلم تأتِ حقبة الثمانينيات حتى استطاعت الحركة التغلغل في الشارع الفلسطيني، أي في مجالاته التعليمية والإعلامية والأدبية. **وكان لها دور في التدخل في مسألة الولاء السياسي (الإعلام وحرية الرأي في فلسطين، معهد الإعلام جامعة بيرزيت 2001).**

كانت الصحافة، وفقًا لمنطلقات حركة فتح أحد أهم الوسائل، كونها أداة اتصال جماهيرية، لذلك تغلغل النفوذ الفتحاوي الوطني في الكثير من المؤسسات.

وهكذا، فإن المتابع للصحف والمجلات، بما فيها الصحيفة الكبرى القدس، يرى أنها اصطفت ضد مشروع الحكم الذاتي وروابط القرى، وكان ذلك عام 1979، إثر زيارة الرئيس أنور السادات إلى القدس. وبالتالي كانت رافعة وطنية لحماية الحقوق الفلسطينية، وبالتالي المشروع الوطني، الذي كانت تقوم عليه منظمة التحرير. ولم تمرّ غير بضع سنوات، حتى غطت الصحافة المقدسية اجتياح لبنان، الذي تم بهدف تصفية الوجود العسكري لمنظمة التحرير، والذي انتهى بحصار بيروت ثم جلاء معظم القوات الفلسطينية.

لقد تجلى نفوذ منظمة التحرير، وبشكل خاص حركة فتح في مناهضة المنشقين على حركة فتح عام 1983، ومن رعى الانشقاق، حيث يمكن القول إن هذه الفترة أوائل الثمانينيات قد شكلت المأسسة الوطنية في الضفة الغربية وقطاع غزة، بمعنى أدق أن الصحافة هنا في القدس قد أثرت بشكل كبير في زيادة النفوذ السياسي لمنظمة التحرير.

وهكذا، فلم تمضِ غير ثلاث سنوات حتى كانت البيئة الوطنية قد تهيأت لا لقيام انتفاضة شعبية فقط، بل لجعل الانتفاضة رافعة لمنظمة التحرير.

الصحافة السياسية

لقد ساهمت الصحافة المقدسية في تقوية منظمة التحرير هنا، فصارت ذراعًا لها، مما عرضها لمشاكل الإغلاق والحجب، واعتقال كوادرها.

لذلك، فإن من سيدرس تلك الفترة من تاريخ فلسطينيي عام 1967، فسيكتشف عمق تأثير الصحافة المقدسية على الرأي العام هنا، إيمانًا بالمشروع الوطني الذي تبنته المنظمة، كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني. ويمكن أن يكون أيضًا بسبب تغلغل حركة فتح داخل الصحافة المقدسية.

وقامت الصحافة في القدس بنشر وتغطية أحداث الانتفاضة إلى العالم (الإعلام الفلسطيني ومراحل تطوره: – 2012. دكتور أحمد العبد أبو السعيد اليازوري العلمية للنشر والتوزيع. ط2014).

وهكذا فإن أهم دور ربما كان للصحافة المقدسية هو دورها في الحفاظ على المشروع الوطني بقيادة منظمة التحرير، بقيادة حركة فتح بشكل خاص، أما لماذا فتح، فلأن ما حدث بعد ذلك في مؤتمر مدريد للسلام عام 1991، وما جرى من مفاوضات أفضت إلى اتفاقية أوسلو، إنما هو من صنع حركة فتح، التي تكاد تكون (أو أحد أهم تياراتها) انفردت بهكذا قرارات.

وهذه هي أهم المنابر التي استمرت في القدس خلال الانتفاضة الأولى، إضافة لصحف القدس والفجر والشعب:

– مجلة البيادر السياسي

صدر العدد الأول منها في نيسان عام 1981. لعبت دورًا مهمًّا إبان الانتفاضة الفلسطينية (1987 – 1993) في مجال التعبئة الوطنية الشاملة في مواجهة الاحتلال؛ إذ كانت من خلال نسخها التي جاوزت آنذاك الـ50000 نسخة مصدرًا أساسيًّا للأخبار والتقارير والإرشاد وملهمًا للناس في حمى المواجهات مع بطش الاحتلال؛ الأمر الذي عرض طاقمها لسلسلة من الإجراءات القمعية والتعسفية الإسرائيلية.

– مجلة «العودة»

ارتبطت بالمكتب الصحفي الفلسطيني الذي كان مقره شارع صلاح الدين، والذي

كان بمثابة مكتب المنظمة. صدرت في مدينة القدس عام 1984. لعبت «العودة» دورًا وطنيًّا في مواجهة الاحتلال، خلال مواجهات الانتفاضة الأولى. كما رافقت إبداعاتها بدء مسيرة البناء برعاية السلطة الوطنية الفلسطينية. وكانت «العودة» والمكتب الصحفي في القدس مكانًا للسياسيين والكتاب أيضًا. وقامت فيما بعد بإعادة ضخ هذا التجمع داخل السلطة الوطنية.

توقفت «العودة» عن الصدور وتم إغلاق «المكتب الصحفي الفلسطيني» أواخر عام 2003 بسبب تفاقم مضايقات سلطات الاحتلال الإسرائيلي ضد المؤسسات الوطنية في المدينة المقدسة.

صحيفة «الطليعة»

شهدت مدينة القدس المحتلة إبان السبعينيات حراكًا ثقافيًّا ملموسًا، إثر تأثير اليسار الفلسطيني، حيث نستطيع أن نزعم أننا إزاء ظاهرة ربطت ما بين الثقافة والفكر والسياسة والصحافة والعمل الوطني، والذي تجلى في أسبوعية «الطليعة» المقدسية صحيفة التنظيم الشيوعي الفلسطيني الذي تحول إلى الحزب الشيوعي، ثم تحول فيما بعد إلى حزب الشعب الفلسطيني.

صدر العدد الأول منها عام 1978، وكانت «مدرسة أخرى قد تكون فعلًا جديدة في توجهاتها الاجتماعية والفكرية، ليس ضد الاحتلال فقط، بل وانتصارًا للعمال والفقراء والنقابات العمالية. توقفت في منتصف التسعينيات تاركة فراغًا فكريًّا وسياسيًّا.

«وقد خصصت بين صفحاتها ملحقًا للثقافة والأدب، غطى الشأن الثقافي وساهم بإيجاد دماء جديدة شابة في عالم الكتابة».

دور نضالي للصحافة والصحفيين وقمع الاحتلال:

لم تكن سلطات الاحتلال بالطبع راضية عما يحدث من توعية سياسية من خلال الصحف والمجلات، لذلك كان من الطبيعي أن تقوم بقمع الصحافة ما أمكنها: حجب

كلمة المحرر، حصر التوزيع في القدس، قانون الطوارئ، إغلاقات الصحف، اعتقالات، إقامات جبرية. (الإعلام الفلسطيني: النشأة والتطور. د. محمود خليفة – وزارة الإعلام الفلسطينية 2015).

ومما أشار لذلك كتاب صدر عن معهد الإعلام في جامعة بير زيت عام 2001: (الإعلام وحرية الرأي في فلسطين صفحة 27)، الذي أشار إلى ذلك متفقًا مع المرجع السابق، فيما يخص الرقابة العسكرية وقمع الصحفيين واعتقالهم.

لقد نجحت الصحافة المقدسية، في إيصال صوت الشعب الفلسطيني وهمومه والمحافظة على هويته، وعرض قضيته أمام العالم؛ حظيت القضية الفلسطينية بالتأييد العالمي، وكشفت زيف الاحتلال.

خفوت فانطفاء في مرحلة سلطة الحكم الذاتي:

والغريب في الأمر أن هذه الصحافة الوطنية التي عاشت رغم قيود الاحتلال، مدافعة عن النهج الوطني، ومنظمة التحرير، أنه لم تكد السلطة الوطنية تتأسس، بما فيها مؤسسات الإعلام حتى أصيبت الصحافة المقدسية في مقتل، حيث توقفت صحف الفجر والشعب، ثم باقي المجلات، فلم يبق منها غير صحيفة القدس.

لذلك كان لتحولات السلطة الوطنية في الضفة الغربية وقطاع غزة أثر سلبي على بقاء تلك المنابر، التي بالرغم من تبنيها خط المنظمة وحركة فتح، إلا أنه تم الزهد بها، بالاستعاضة عنها بتكوين منابر جديدة.

المراجع:

- الإعلام وحرية الرأي في فلسطين. معهد الإعلام في جامعة بير زيت عام 2001.
- الإعلام الفلسطيني: النشأة والتطور. د. محمود خليفة – وزارة الإعلام الفلسطينية 2015.
- الإعلام الفلسطيني ومراحل تطوره: 1876 – 2012. دكتور أحمد العبد أبو السعيد اليازوري العلمية للنشر والتوزيع. ط2014.

مواقع انترنت:

- https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=5142
- https://ar.wikipedia.org/wiki